

شعاع نور في جرش: كسر الحواجز لإحداث التغيير

في مدينة جرش، الواقعة في شمال الأردن، ما تزال الأحاديث حول مرض السرطان تُغلف بالصمت. فكثيرون يتجنبون حتى نطق اسمه، ويشيرون إليه فقط بعبارة "ذاك المرض"، خوفاً من مواجهته أو الحديث عنه. هذا التردد غدى لسنوات طويلة مفاهيم خاطئة، ووصمة اجتماعية، والأخطر من ذلك كله، تأخر في التشخيص.

من خلال البرنامج الأردني لسرطان الثدي، الشريك الفخور بمشروع نحن نقود، بدأت الجهود تتغلغل في قلب هذا الصمت المتجذر. ففي جرش، نظم البرنامج 200 محاضرة توعوية، وصلت إلى أكثر من 3,423 شخصاً.

وفي صميم هذا الحراك، تبرز قصة ختام، امرأة تجسّد الإصرار والقوة، لم تُغيّر حياتها فقط، بل أثرت في حياة كثيرين في مجتمعها.

ختام، المقيمة في جرش طوال حياتها، هي مثقفة صحية تتمتع بنظرة فريدة: فهي كيفية. في البداية، ساورها الشك فيما إذا كانت قادرة على أن تُحدث فرقاً حقيقياً. لكن بانضمامها إلى مبادرة مجتمعية أطلقها برنامج سرطان الثدي بدعم من نحن نقود، تغيّر منظورها بالكامل، وتحوّلت مسيرتها إلى قصة إلهام. تم اختيار ختام ضمن مجموعة من 25 امرأة خضعن لتدريبات مكثفة حول التوعية بسرطان الثدي، وتقنيات الكشف المبكر، واستراتيجيات التواصل. وبعد أن تسلّحت بالمعرفة وروح العزيمة، انطلقت في دورها كمثقفة صحية، عازمة على كسر حاجز الصمت المحيط بسرطان الثدي في مجتمعها.

امتد عمل ختام إلى ما هو أبعد من القاعات والنشرات الورقية؛ فقد قادت 15 جلسة توعوية في المراكز المجتمعية، وزارت منازل، وتواصلت خصيصاً مع مجموعات من النساء ذوات الإعاقة. كانت مقاربتها إنسانية، دافئة، وشخصية، حرصت خلالها على ألا يُترك أحد دون معرفة، مهما كانت ظروفه. ومن خلال جهودها، وصلت مباشرة إلى 258 شخصاً، ساعدتهم على تغيير نظرتهم للمرض، وشجّعتهم على إجراء الفحوصات المبكرة، وأثارت نقاشات صحية طالما تم دفنها تحت غبار الخوف والوصمة.

وكان الأثر عميقاً. نساءً كنّ يخشين زيارة العيادات الطبية بدأن بتلقي الفحوصات. بنات وبنات أخ شجّعن أمهاتهن وخالاتهن على إجراء فحوصات الكشف المبكر. إحدى المشاركات روت أن جلسة ختام منحتها الشجاعة لإقناع والدتها بإجراء تصوير الثدي بالأشعة، وهو القرار الذي قاد إلى تشخيص مبكر أنقذ حياة والدتها.

وتُظهر الإحصاءات أهمية الكشف المبكر: إذ ترفع نسب التعافي إلى 95%. وهذه الحقيقة تعكس مدى أهمية عمل ختام، والتحوّل الصامت لكن العميق الذي بدأ يتشكل في جرش. بالنسبة لختام، كانت هذه الرحلة شخصية بامتياز. فقد منحها المبادرة ليس فقط مهارات مهنية واستقلالاً مالياً، بل أيضاً ثقة متجددة وانتماء أعمق. كانت ترى في إعاقته يوماً ما عائقاً، لكنها أصبحت الآن مصدر قوتها، ودليلاً على صلابتها، وإثباتاً حياً أن الحواجز، مهما بدت صعبة، يمكن تجاوزها. قصة ختام تذكير مؤثر بأن شجاعة شخص واحد والتزامه يمكن أن يشعل شرارة التغيير الحقيقي. بصوتها وعملها، أعادت تشكيل المفاهيم، ومكّنت النساء من امتلاك زمام صحتهن، وفتحت أبواب حوارات كانت موصدة خلف أسوار الصمت.

رحلتها شهادة حية على قوة المعرفة، والمناصرة، والأمل، وعلى الحقيقة الثابتة بأن فرداً واحداً، يملك
العزيمة والرحمة، قادر على إلهام مجتمع بأكمله